النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٤٦ / ١٩٩٩
الأحد ١٤ تشرين الثاني

القديس فيليبس الرسول
والقديس غريغوريوس بالاماس

اللحن السابع
إنجيل السَحَر الثاني

الـــرســـالـــة (أعمال الرسل ٨: ٢٦-٣٩)
الإنـــجـــيـــل (لوقا ١٠ : ٢٥ - ٣٧)

+ القديس غريغوريوس بالاماس

تعيِّد الكنيسة المقدسة في الرابع عشر من تشرين الثاني لتذكارأبينـــا الجليل في القديسين غريغوريوس بالاماس العجائبي رئيس أساقفة تســـالونيك (اليونان)، الذي عاش في القرن الرابع عشر، وقد تميَّز بالنزعة الرهبانيـــة الهدوئية التي تهدف إلى ضمان وحدة الذهن والقلب: الذهـــن فـــي القلـــب، وذلك عبر التلاوة المتواترة لصلاة يسوع، «يا ربي يسوع المسيح، يا ابـــن الله، ارحمني أنا الخاطئ». وهذا يؤدي بمختاري الله إلـــى معاينـــة النـــور الإلهي غير المخلوق الذي يمكن رؤيته بعين الجسد، كما حصل مع التلاميذ في جبل ثابور.

وُلد غريغوريوس في القسطنطينية عام ١٢٩٦ من أبوين مهاجرين من بلاد الأناضول، تقيين جداً، مواظبين على الصلاة مع سائر أفراد العائلة، حتى أنهما بعدما تقدّما في السن انتقلا إلى ديرين حيث عاشا حياة رهبانية.

بعد وفاة أبيه الذي كان عضواً في مجلس شيوخ الإمبراطور أندرونيكس الثاني، تعهده الإمبراطور مع إخوته فأتيح له أن يحصّل قدراً وافراً من العلم. برع غريغوريوس، بفضل صلواته الحارة لوالدة الإله، في الفلسفة ولا سيما منطق أرسطو.

لم تُغرِه الوظيفة، بل فضّل الرهبنة، خاصة أنه كان على اتصال مع رهبان الجبل المقدس، آثوس. تروّض على أتعاب الفضيلة وهو ما زال في المدينة، وسلك طريق الفقر حتى ظن الكثيرون أنه جُنَّ. وكان معلّمه الروحي الأسقف ثيوليبتوس الذي ربّاه على يقظة القلب والصلاة النقية. ولما عزم على الالتحاق بالدير، استشار أخاه الأكبر، فقرّرا أن يذهب كل أفراد العائلة إلى الأديار، فذهبت أمه وأختاه إلى دير في القسطنطينية، أما هو وأخواه فذهبوا إلى جبل آثوس إلى دير فاتوباذي وكان ذلك عام ١٣١٦.

أمضى غريغوريوس في هذا الدير، وتحت إرشاد الراهب نيقوديموس، ثلاث سنوات في الصلاة والصوم والسهر وذكر والدة الإله. وبعد وفاة أخيه الأصغر والراهب نيقوديموس انتقل إلى دير اللافرا الذي أسسه القديس أثناسيوس الآثوسي في القرن العاشر. بقي هناك أيضاً ثلاث سنوات قضاها في النسك الشديد والجهاد. فقد حارب النعاس حتى أنه بقي ثلاثة أشهر بلا نوم. بعدها خرج إلى البرية للحصول على مزيد من الهدوء، واستقر مع ناسك يُدعى غريغوريوس اشتهر بالهدوئية فأخذ عنه سر الصلاة العقلية. اكتسب بالاماس أيضاً التواضع العميق ومحبة لله وللقريب لا توصف. كما تدرّب على تركيز العقل في القلب وممارسة صلاة يسوع. وكانت عيناه تذرفان الدموع دوماً.

بعد سنتين أو ثلاثة، وبسبب غارات القراصنة الأتراك، غادر بالاماس مع عدد من الرهبان إلى تسالونيك (١٣٢٥). وهناك شارك في حلقة روحية سعى خلالها إلى نشر ممارسة صلاة يسوع بين الناس

أيضاً، من حيث هي الأداة الأولى لتفعيل نعمة المعمودية. سيم كاهناً عام ١٣٢٦ وانتقل إلى العيش في مغارة في منطقة فاريا Varia. قسى على نفسه كثيراً، فكان لا يخرج من المغارة إلا السبت والأحد ليشترك في الأسرار الإلهية ويرشد الإخوة. بسبب نسكه عانى هناك من مرض في أمعائه، وكان نموذجاً للحياة الرهبانية يقتدي به الكثيرون. بعد خمس سنوات عاد إلى جبل آثوس وسكن في منسك على مسافة ساعة من المشي من دير اللافرا في أعلى الجبل. وهناك انصرف إلى الصلاة فبلغ معاينة الله في نور الروح القدس والتأله، هذا النور مثل النور الذي ظهر في جبل ثابور يوم تجلّي الرب.

وقد كتب غريغوريوس خبراته الروحية لكي يستفيد منها المؤمنون. من كتاباته المهمة ثلاثيته في الدفاع عن الهدوئية. وذلك بعد الصراع الكبير الذي نشأ بسبب أحد الرهبان، برلعام، الذي ادعى أنه لا يمكن للإنسان معاينة النور غير المخلوق عن طريق صلاة الذهن في القلب والتركيز والإيقاع الجسدبين الموافقين لها. وقد التأم مجمعان في القسطنطينية عامي ١٣٤١ و١٣٥١ وأدانا برلعام وكل من يخالف رأي غريغوريوس.

عام ١٣٤٧ انتخُب غريغوريوس أسقفاً على تسالونيك.

عام ١٣٥٣، فيما كان ذاهباً عن طريق البحر إلى القسطنطينية، اعترضه القراصنة الأتراك وأخذوه أسيراً إلى آسيا الصغرى حيث عاش في أحد أديار نيقيه إلى أن افتداه بالمال أحد الأتقياء الصرب.

عاد غريغوريوس إلى تسالونيك وبقي يرعى خراف المسيح هناك إلى أن رقد بالرب في الرابع عشر من تشرين الثاني عام ١٣٥٩، يوم عيد الرسول فيليبس الذي قال لنثنائيل «تعالَ وانظر» (يوحنا ٤٦:١) لقد وجدنا الرب، وعاينّاه.

أعلنت قداسة القديس غريغوريوس في مجمع مكاني في القسطنطينية عام ١٣٦٨ وقد وصفه هذا مجمع بأنه «الأعظم بين آباء الكنيسة». فبشفاعته اللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ صوم الميلاد

في إطار التهيئة لعيد ميلاد ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد، رتب آباء الكنيسة أن يعدّ المؤمنون أنفسهم لهذا الحدث الخلاصي المهم عبر الصوم مدة أربعين يوم تبدأ في الخامس عشر من تشرين الثاني، ينقطعون خلالها عن أكل اللحم والحليب ومشتقاته، ويُسمح لهم بأكل السمك وبالفطور صباحاً.

أصل هذا الصوم من بلاد الغال (فرنسا)، وتذكر الكتب التاريخية انه في أواسط القرن الرابع (حوالي سنة ٣٦٧) كان يسبق عيد الظهور الإلهي ثلاثة أسابيع صوم. والتعييد للظهور الإلهي في تلك الفترة كان يعني الاحتفال بعيدي الميلاد والمعمودية. بعد انفصال العيدين وبدء التعييد للميلاد في ٢٥ كانون الأول انتقل الصوم إلى ما قبل الميلاد. وتشير مجامع بلاد الغال في القرن السادس إلى الصوم على أنه فترة توبة. ومن هناك انتقل إلى كافة أنحاء الغرب والشرق وصار سائداً وممارساً.

اليوم نحن في غمرة التهيئة لوداع آخر أيام الألفية الثانية واستقبال الألفية الثالثة والمفصل الأساسي فيها هو عيد ميلاد الرب. العالم بأسره منشغل بالتحضيرات لاستقبال ألفية جديدة وقرن جديد. الإعلانات عن الرحلات السياحية والسهرات وأجمل الألعاب النارية كثيرة. «أبناء العالم» يعرفون كيف يتحضرون للمناسبات المهمة، ويتحدثون عن الموضوع قبل أشهر، ويدخرون الأموال لهذا الحدث الكبير. لكن ما الذي يميِّز احتفال هذه السنة عن السنين التي سبقتها؟ جوهرياً، لا شيء. الحياة تستمر ونعود في اليوم التالي لبدء الألفية الجديدة إلى شقاء العمل وتعبه. لا شيء يميِّز هذا الموعد إذا لم نقم بشيء جوهري لتغيير كياننا وجوهرنا الداخليوإذا لم يولد المسيح في قلوبنا.

نحن، «أبناء الإيمان»، لا نقول بأن الاحتفال خطيئة وعيب، المهم أن «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبِرّه وهذه كلها تزاد لكم» (متى ٣٣:٦). نتهيأ لهذا الحدث العظيم هذا العام كما نتهيأ كل عام بالصوم والصلاة، لأننا نعي أن «رأس خلاصنا» يبدأ في يوم الميلاد. وكل عام نحتفل بالميلاد لنجدد إيماننا بالخلاص الذي حققه لنا يسوع بتجسده. ما يجب أن يميز عيد الميلاد هذا العام عن الأعياد السابقة هو تصميمنا الأعظم بهذه المناسبة العظيمة على الالتزام بالرب يسوع،

والتعهد بإتمام جميع وصاياه، وبعدها نحتفل كما يحتفل أهل الدنيا، بلياقة وأدب وترتيب.

نحن منطلقون اليوم مع الرسول فيليبس الذي يصادف عيده مع بدء صوم المبلاد لنلاقي الطفل المولود في معارة بيت لحم الذي هو نفسه ابن الله. نقرأ في إنجيل يوحنا عن فيليبس يقول لنثنائيل تعال وانظر «الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء» (يوحنا ١:٤٥). ذهب نثنائيا معه، ولما رآه يسوع قال «هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه. قال له نثنائيل من أين تعرفني؟ أجاب يسوع وقال له: قبل ان دعاك فيليبس وأنت تحت التينة رأيتك. أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت **ابن الله**» (يو ١: ٤٧ – ٤٩). ذهب نثنائيل ليرى ابن الناصرة، ابن النجار يوسف، «الذي كتب عنه موسى»، فألفه النبي والمعلّم، المسيح ملك اسرائيل، **ابن الله**. نحن منطلقون لنحتفل بولادة الطفل الإنسان يسوع، لكننا على يقين بأنه هو نفسه الذي تجلّى على الصليب لاحقاً وظهر ابناً لله لما وطئ الموت بالموت. إن عيوننا وقلوبنا الطاهرة مستعدة لأن ترى أبعد من الإنسان، لأن ترى «أعظم من هذا» (يو ١:٥٠)، لأن ترى كلمة الله المتجسد، «الذي هو في صورة الله... صار شبيهاً بالبشر وظهر في صورة الإنسان» (في ٢: ٦–٧).

من يتأمل في سر التجسد، سر ميلاد الرب، سر تنازل الإله، سر محبة الله للبشر، لا بد له أن يشعر بالرهبة والحزن. الرهبة من عظمة هذا السر والحزن على الإنسان الذي يعيش في الخطيئة لا بد له أن يتساءل إذا كان مستحقاً لهذا الخلاص وإذا كان مستعداً أن يستقبل السيد في مذود قلبه؟ هل يجد الله مكاناً في قلبه ليستريح فيه؟ الكنيسة تعطينا اليوم، من خلال خبرتها، فترة تمتد لأربعين يوماً ننقي خلالها ذواتنا بالصوم والصلاة، نتوب عن خطايانا ونشرّع أبواب قلوبنا لميلاد المسيح، فنستقبل ألفية ثالثة جديدة بفرح لا يقارن مع أي فرح آخر.

+ مهما تنفق فوق هذا ...

إن مَثَل السامري هو أكثر الأمثال ألفة لدينا. وأظنّ مع هذا، أن ما يبدو قمّة هذا المثل، يفوتنا، في أغلب الأحيان.

فما معنى هذا المثّل ؟ أتراه التناقض بين الموقف السّلبي للكاهن واللاّوي، وبين شفقة فعالة لعلمانيّ، يعتبره الأوّلان " غير مؤمن "؟ أم تراه واقع السامريّ الذي يغضّ النظر عن

الفوارق القومية، ويأخذ على عاتقه يوديًّا مثخناً بالجراح؟ أم هو إيضاح لـــهذه الحقيقـــة: إن " قريبنا " الذي يخصّنا مباشرة، هو ذاك الذي يضعه الله في طريقنا، أيًّا كان. هـــذه الخواطـــر صائبة كلّها ، غير أن ذروة المثل تبدو لي، في مكان آخر.

فان السامري لا يكتفي بأن ينهض اليهودي الذي هاجمه لصوص وعرَّوه، ولا يقتصر على تضميد جروح هذا الغريب، وصبّ الزيت والخمر عليها. كما انه لا يكتفي بأن يحملـــه على دابته الخاصة، ويأتي به الى فندق، ويعتني به في الليل. انه يفعل أكثر من ذلك. وهـــذا، على ما أعتقد، هو الشيء الأساسي: " وفي الغد، اخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفنـــدق، وقال: اعتنِ به، ومهما تنفق فوق هذا فأنا أدفعه لك، عند عودتي" (لوقا ١٠:٣٥).

مهما تنفق فوق هذا ...

ان السامري لا يتردّد في أن يلقي نفسه في المجهول. فهو يعطي صاحب الفندق نوعاً من الشّك، على بياض، ويتعهّد بأن يدفع، عند عودته، النفقات الاضافية، التي يتطلّبها الجريح. ولا يعيّن أي رقم، ولا يفرض أي شرط، ولا يقيم أي حدّ. وفي رأيي (وقد أكون مخطئاً، على كل حال) إن تخطي الحدود هو سرّ هذا المثل.

ويختم يسوع كلامه، قائلاً لعالِم الناموس، الذي كان سؤاله في أصل المثل: " إمـــضِ واصنعْ أنت أيضاً كذلك."

إصنع كذلك... هذه الكلمات موجّهة الينا، كما هي موجّهة الى عالِم الناموس. فـــإن منح مساعدة محدودة، وتكبُّد نفقاتها، شيء، وشيء آخر الالتزام " بفوق" غير محدود. وهـــذا الفوق اللامحدود يطلبه الرب يسوع منا، وليس فقط في مجال المساعدة الخيرية. فقد تكلمـــت عن " تخطٍّ للحدود".

إن نداء الإنجيل هو أساساً هذا التخطّي. ويقتضي ألاّ نفكر بتعابير مجال محصور، أو أخلاقية مغلقة، وان نفتح الأبواب الموصدة، وندوس الحدود بالأرجل. بلى لكن بشـــرط أن لا يكون هذا، كي نحصل على تسهيلات أعظم ، بشرك أن " نتخطّى " أنفسنا، فنحطّم ذواتنا كـــل مرة نحطّم فيها قفلاً. فإن المسيح يقول لنا: " اتبعني " في الدروب التي لا يتوقّعها أحد.

الأب ليف جيليه